

قصص القرآن

نبأ بني آدم والفراب

ريشة: مصطفى حسين

قلم: أحمد بهجت



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جراه حسني - هاتف : ٣٩٤٥٧٨ - ٣٩٤٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤١٤ (٠٢) تليكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب. : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٧١٣ برفا : داششروق - تليكس : SHOROK 20175 LB

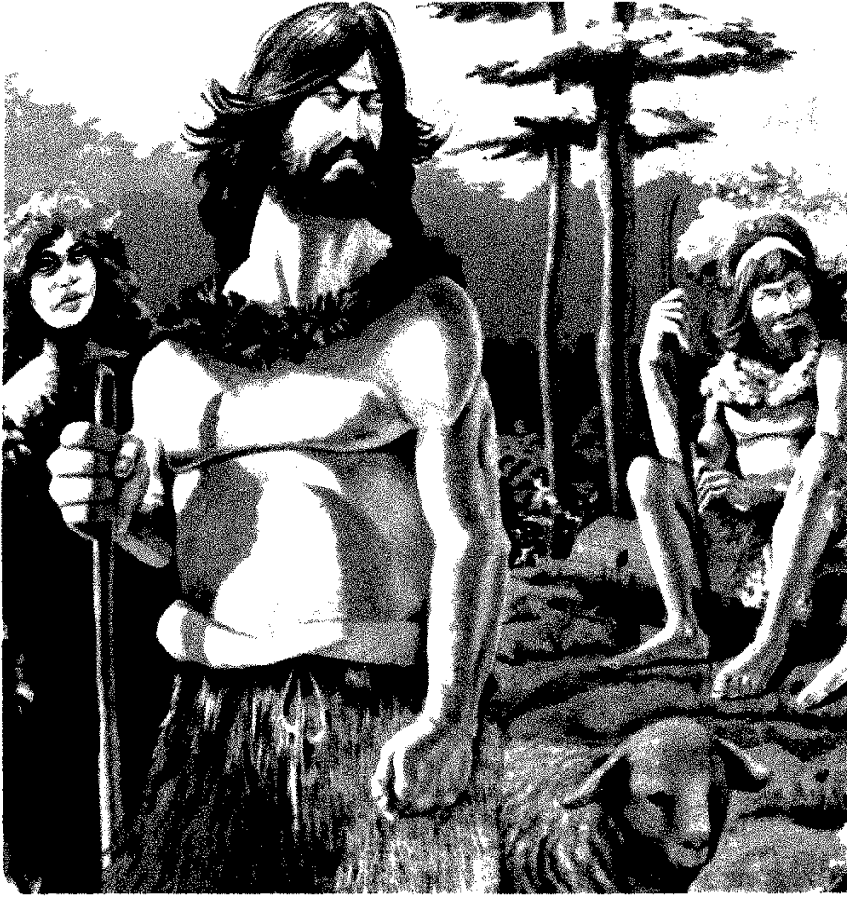
قصص القرآن

نبأ ابن جبرآدم والفراب

ریشه: مصطفیٰ حسین

قلم: ادمت بهجت

دارالشروق



عنيفاً وصارماً كان هايبيل وديعاً ولطيفاً ،
وكانت المشاعر الداخلية التي تملأ
قلب كل واحدٍ منهما تنعكس على
وجهه وتظهر على ملامحه ..

كان قابيل قوي الجسد حاد
الملامح ، ولم يكن راضياً عن حظّه
في الزواج ، وبالتالي فقد كان يحسّد
شقيقه هايبيل .. وبقدر ما كان قابيل



وبدأ هذا الأخ يحسّ بالكراهية نحو
أخيه .
كان أسم هذا الأخ قابيل .. أما
الأخ الثاني فكان أسمه هايبيل ..

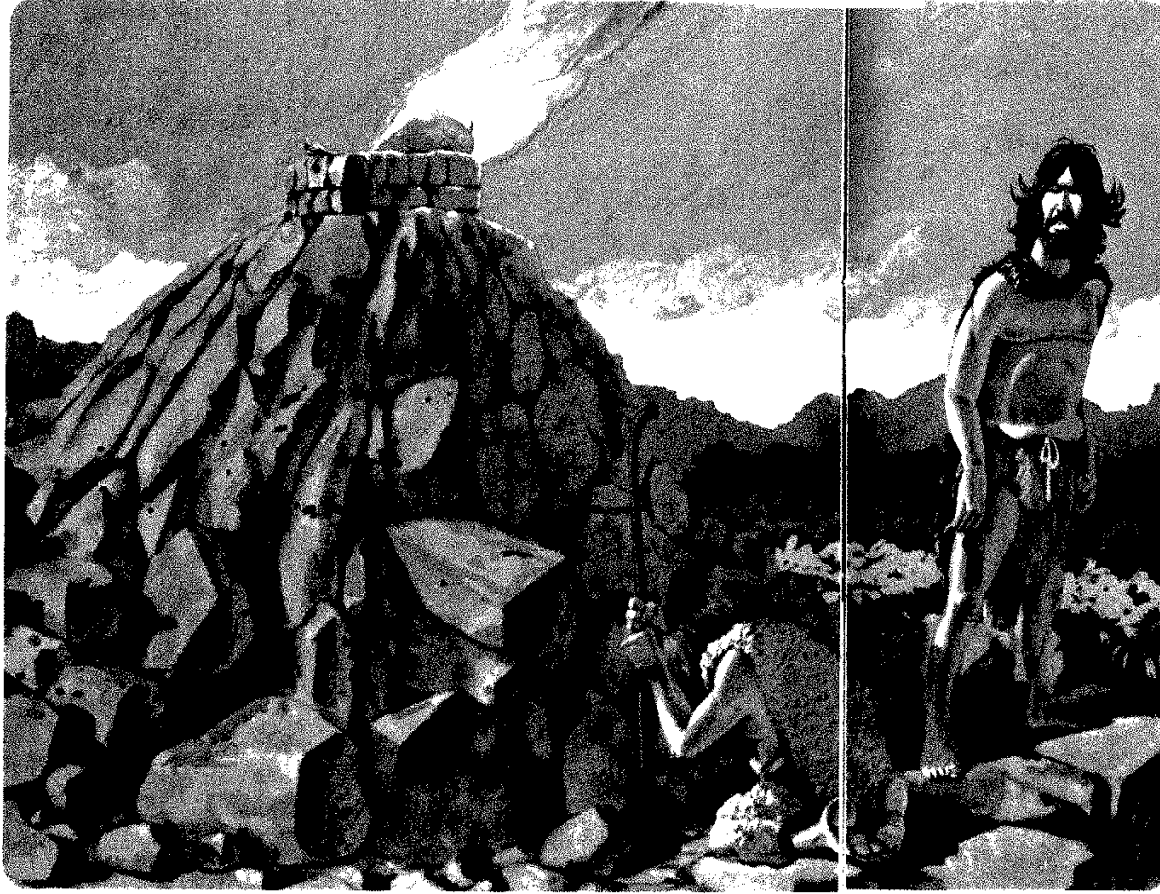
﴿بَرَآءة﴾
الحياة الإنسانية بهبوط آدم
وحواء إلى الأرض ،
كانت حواء تلد في البطن الواحد
توأمين ذكراً وأنثى .. فإذا مرّ عامٌ
ولدت في البطن الثاني ولداً وبناتاً ..

ولم يكن يحلّ للولد أن يتزوج من
شقيقته التي ولدت معه في نفس
البطن ، إنما كان يستطيع الزواج من
ابنة البطن الثانية ، بعد الله بينهما كما
بعد بين الأقارب ..

في ذلك الزمان البعيد ، حين كان
بالوجود آثنان من أبناء آدم .. وقعت
هذه القصة لهما ..

تزوج الولد الذي ولد في البطن
الأول بالبنات التي ولدت في البطن
الثاني .. وتزوج الولد الذي ولد في
البطن الثاني بالبنات التي ولدت في
البطن الأول ..

وكان أحد الأخوين غير راض عن
زواجه حيث كان يرى زوجة الآخر
أجمل من زوجته .



وذات يومٍ أمر آدمٌ ولديه أن يُقدِّمًا
قرباناً لله ..

سألاه : ماذا يعني بالقربان ؟

قال آدمٌ : القربانُ هديةٌ شكرٍ
إلى الله .. إذا تقبلها الله سبحانه
وتعالى ، فسوف تنزلُ من السماءِ نارٌ
تلتهمها .. وسيكونُ هذا إيذاناً
بِقَبولِ الله لها .. أنصرفَ الأخوانِ
وجاءَ عيدُ الشكرِ ..

كان قابيلٌ غنياً ولكنه لم يكن
كريمًا .. وراح يُفكِّرُ ماذا يُقدِّمُ
للسماءِ .. وخشيَ على كِباشِهِ وعُجولِهِ
وقرَّرَ أن يُقدِّمَ بعضَ أعوادِ القمحِ
الضعيفةِ التي قدَّرَ بينه وبين نفسه أنها لا
تصلحُ لصناعةِ الخبزِ .. كان سيرمياها
على أي حالٍ .. لم يكن
ليستخديمها .. هكذا فكَّرَ قابيلُ .

صعدا جزءاً منه ووضع كل واحدٍ منهما
قربانه ..

وضع هابيلُ كِبشَهُ السمينَ ..

ووضع قابيلُ حَفْنَةً من أعوادِ

أما هابيلُ فكان رَغِمَ فقرِهِ كريمًا ..
حيثُ قرَّرَ أن يُقدِّمَ للقربانِ أسمنَ
الكِباشِ ..

وتوجَّهَ قابيلُ وهابيلُ إلى الجبلِ ..

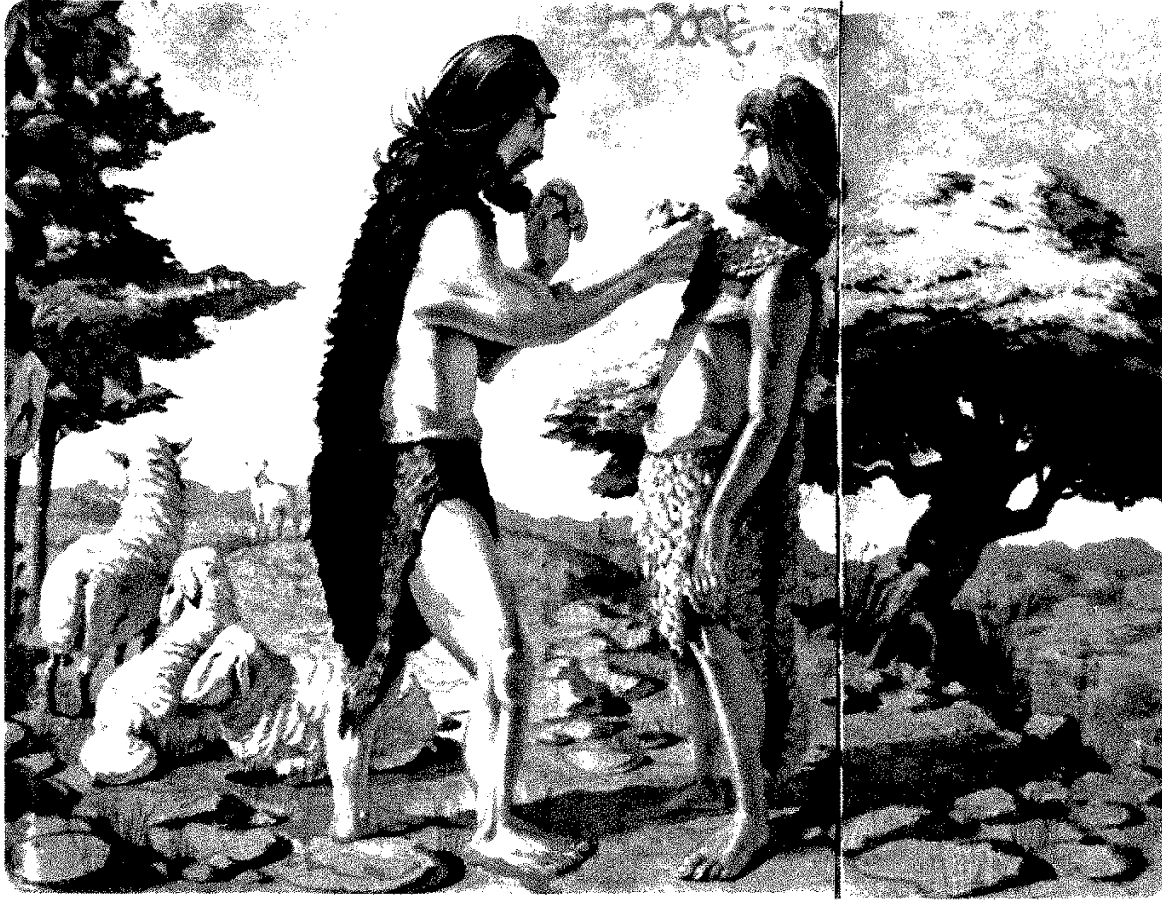
هابيلُ .. وظلَّ قربانُ قابيلِ على حالِهِ
لم يمسه شيءٌ .

أنحنى هابيلُ يسجدُ لله ..

ووقفَ قابيلُ يُحدِّقُ في هابيلِ ..

القمحِ ..
وأنحدرا من الجبلِ ووقفوا عند
سَفْحِهِ يَنتظِرانِ ..

هبطتُ من السماءِ نارٌ أكلتُ قربانَ



ومن أعماق رُوحه تصاعدت موجة من
الغضب والكراهية ..

وأدرك قابيل أن الله يحب أخاه أكثر مما يحبه .. أدرك أن الله قد تقبل من أخيه ولم يقبل منه ، وبدلاً من التوبة المطهرة وإصلاح الذات ، أحترق قلب قابيل بكراهية عميقة نحو أخيه .. ووسوس إليه الشيطان أن يقتله .. كانت نظرته على البعد تكشف قاع رُوحه التي تموج بأفكار الشر والجريمة .

أنفرد قابيل بشقيقه وسأله : لماذا تقبل السماء قربانك ولم تقبل هديتي .. قال هايل : لا اعرف لماذا حدث ذلك ، ولكنني أعتقد أن قلبك ليس صافياً لله ، لو صفا قلبك لله لتقبل الله عملك وقربانك ..

قال قابيل : ﴿ لأقتلنك ﴾ .

قال هايل : لا تغضب يا قابيل ، ﴿ إنما يقبل الله من المتقين ﴾ .. لو ندمت الآن وعُدت إلى الله فسوف يقبل منك .

قال قابيل : ﴿ لأقتلنك ﴾ .

قال هايل : ﴿ لئن بسطت إلي يدي لأقتلنك ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك .. إنني أخاف الله رب العالمين ﴾ .

قابيل (ثائراً) : سأقتلك ذات يوم .. ثق أنني فاعل .

هايل : لن أقدمك لحوالك قتلي ، ﴿ إنني أريد أن تبوأ بإثمي

وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ .

أنصرف قابيل ثائراً ومضى يفكر .. أحس أنه في حاجة إلى أن يسير



طويلاً حتى يهدىء من نفسه النائرة . .
كان الشيطان يُفكرُ معه ويسيرُ جوارَه أو
يَنبُضُ في دمايَه ويوسوسُ إليه ويُرِينُ له
فكرةَ القتلِ . .

قال قابيلُ لنفسِه : لقد آن الأوانُ
لإزاحته من طريقي . . إن التخلُّصَ
منه سوف يُكسِبُنِي أرضه وزوجته . .

ومضى قابيلُ يسيرُ حتى أنتهى إلى
شجرةٍ يرقُدُ جوارَها جمارٌ ميتٌ . . كان
الجمارُ قد مات منذ قليلٍ . . وهبطتِ
الطيورُ الجارحةُ عليه من كلِّ اتجاهٍ
ومضتْ تلتهمُ لحمه . .

بعد ساعاتٍ قليلةٍ كان الحمارُ قد
تحولَ إلى هيكلٍ عظيمٍ . . ووقفَ
قابيلُ يرقُبُ المشهدَ . .

إن الصراعَ يجري في كلِّ مكانٍ
على الأرضِ ، فلماذا لا ينقضُ على
شقيقه كما تنقضُ هذه الطيورُ الجارحةُ
على المأدبةِ التي هيأها موتُ
الحمارِ . . .

أقتربَ قابيلُ أكثرَ من الحمارِ
فطاربَ الطيورُ مُبتعدةً عنه . . تأمَّلْ

قابيلُ الحمارُ . . .

تأمَّلْ فكهُ . . ألا يصلحُ هذا الفكُّ
سلاحاً يتخلَّصُ به من أخيه ؟ مد يدُه
وأتسرعُ فكُّ الحمارِ من الهيكلِ

العظيميِّ وحمله ومضى به . .

قال لنفسِه : من يدري . . قد
يُخلِّصُنِي هذا الفكُّ من أخي !

فكَّرَ قابيلُ طويلاً في جريمته قبل أن

يرتكبها . . كان يعلمُ أن شقيقه هابيلُ
يحبُّ الطبيعةَ ، وكثيراً ما ينامُ في كهفِ
صخريٍّ تُطلُّ فتحةُ على الحدائقِ .
قال لنفسِه : سوف تحينُ فرصتي



حين يدخل الكهف وينام ..
وجاء يوم الجريمة .. ودخل هابيل
إلى الكهف ونام فيه كعادته .. كان
هابيل مُرهقاً لم ينام الليلة السابقة
كلها ، سهر فيها إلى جوار زوجته التي
كانت تتألم وتتهيأ لميلاد طفلها الأول ،
وفي الصباح المبكر صحب زوجته
وذهب بها إلى أمهما حواء ، لكي تلد
عندها .. ثم ولدت ذكراً وبتاً جميلين
فيهما صفاء هابيل ..

أستراح هابيل أخيراً وجاء إلى كهفه
الأيسر ، وسرعان ما أستغرق في
النوم ..

أنتظر قابيل حتى تأكّد أن شقيقه
ننام ، ثم تسلل إلى الكهف وهو يشدُّ
قبضته على فكّ الحمار ..

كان ذهنه يموج بتيار من الشر الذي
يَهزُهُ هزاً رغم صلابته .. وكان
الشیطان قد أقنعه بفكرة القتل وسؤلها
له حتى أنطبع في قلبه ..

وأقترب الشر المسلح من الخير
النائم ، أستغل الشر فرصة نوم الخير
ورفع يده وهوى بها على شقيقه ..

وتدفق دم الشقيق يجري على
الأرض ..
مات هابيل ..
سكنت حركته وأستسلم

للموت .. أحس قابيل بالفرع حين
همدت حركة أخيه تماماً وأستلقى على
ظهره ودمه ينزف .. توقّف قابيل عن
ضرب أخيه وهزه فوجدّه لا يتحرك ..
أمتلأ قلبه بخوف بارد ولم يعرف ماذا
يفعل .. ناداه فلم يجبه .. وحدّثه
فلم يلتفت إليه .. وأدرك قابيل أنه قتل
شقيقه ..



كان هايبيل أول إنسان يموت على
سطح الأرض ، وكان موته أول
جريمة قتل تقع في الوجود
الإنساني . . لم يكن قد مات قبل ذلك
من البشر أحد . .

وحار قابيل ماذا يفعل بجسد شقيقه
الذي سكنت حركته ، وحار قابيل أين
يُخبئهُ ويخفي جريمته . .

وهكذا حمل قابيل جسد شقيقه
الميت هايبيل ومضى يسير به . . أراد
أن يُخبئهُ في مكان بعيد حتى لا يصل
إليه أحد . . لم يجد مكاناً يصلح
لذلك . .

ظل يسير حتى تعب ، ثم مرزق
الهواء صوت طائر يصرخ ، أفزعته
الصرخة ومألت نفسه بشؤم
مجهول . .

ألقت القاتل فرأى في السماء غراباً
يطير وهو يمسك بمنقاره شيئاً لم
يتبينه .

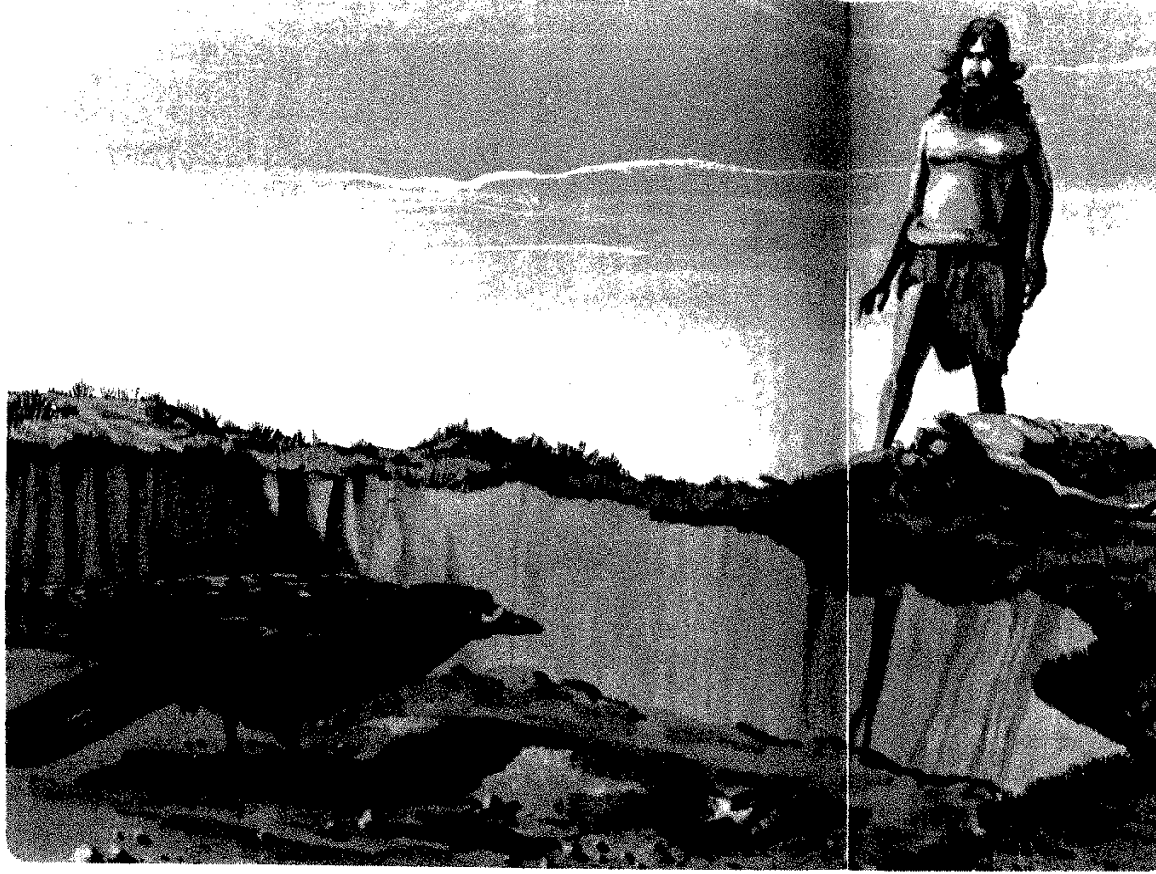
وزادت جبرته وأشدت إحساسه
بالفزع . . وأحس بثقل أخيه كأنه

غراباً ميتاً . . وضع الغراب الحي
شقيقه الميت على الأرض وساوى
أجنحته وحفر له حفرة بمنقاره
وأقدمه ، حتى إذا صنع لأخيه لحدّه

كان حائراً تموج نفسه بمشاعر
مختلطة من الخوف والرعب
والقلق . .
ثم اقترب الغراب فرأه قابيل يحول

يحمل جبلاً ضخماً .

وقف قابيل ووضع شقيقه على
الأرض وهو لا يعرف ماذا يفعل أو
كيف يتصرف . .



وقبره ، رفعه بمنقاره ووضعهُ برفقٍ في
قبره . ثم صرّخَ صرّختين قصيرتين كأنه
يكيه وعاد يهيل عليه التراب .. بعدها
طار في الجوّ وهو يصرّخ ..

وأدرك قابيلُ أن الله بعث إليه من
يُعلّمهُ درسين معاً في وقتٍ واحدٍ ..

أما أحدُ الدّرسين فقد عرّفه قابيلُ
على الفور ..

أما الدرسُ الثاني فقد عرّفه قابيلُ
بعد ذلك بزمنٍ ..

لقد عجزَ قابيلُ وحدهُ عن دفنِ أخيه
رغم أنه قتله ، ولولا الغرابُ ما عرفَ
كيف يُواري جسدهُ الهامد ..

قال لنفسه : لم أعرف كيف أدفُنُ
أخي ودفنَ الغرابُ أخاه ..

كان هذا هو الدرسُ الأوّل الذي
تعلّمه قابيلُ ..

عرّف أنه كان أقلّ في ميزانِ الرحمةِ
من الغرابِ .. والأصل أنه سيّدُ
الكائناتِ .

ونفضَ قابيلُ وحفرَ حفرةً لأخيه
ودفنه فيها ، ثم تذكرَ صراخَ الغرابِ

الغرابِ فأواري سؤأة أخي !

أنصرفَ قابيلُ مُمتقعَ الوجه مُترعَ
القلبِ بالنّدمِ والهَمومِ .

وجاءَ المساءُ ولم يعدْ هابيلُ ..

ومرّتِ الأمسياتُ والليالي ولم يعدْ
هابيلُ ..

سأل آدمُ قابيلُ : أين ذهبَ هابيلُ ؟

قابيلُ : لست أعرفُ أين ذهبَ ..

الحيّ على الغرابِ الميّتِ فمزقهُ النّدمُ
على جريمته فأصبحَ من النادمين .

قال وهو ينهارُ على الأرضِ : ﴿ يَا
وَيْلَنَا أَعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ بِمِثْلِ هَذَا



وقرأ آدمُ في عينيِّ ابنه خَطِيئَتَهُ ..
وسأله :

– قابيلُ .. ماذا فعلتَ بأخيك
هابيلَ ؟ إن الله لم يتقبلْ قربانَكَ ..
ماذا فعلتَ بأخيك ؟

وتذكرُ قابيلُ قربانَهُ الذي تجاوزتهُ
السَّمَاءُ .. تذكرُ كلماتِ هابيلَ له ..
لقد أشارَ يومئذٍ إلى النَّدَمِ .. حتَّى
على النَّدَمِ حينَ رفضتِ السَّمَاءُ
قُربانَهُ ..

لو أنه عرفَ ندمَ التَّوْبَةِ الجميلِ على
الدُّنُوبِ لما أهلكه ندمُ الخَطِيئَةِ
الفاجعِ ..

وكانَ هذا هو الدرسُ الثاني الذي
تعلمهُ قابيلُ ..

أنتهى الأمرُ ولم تعدْ لهذا الدرسِ
قيمةٌ .. صار قابيلُ قاتلاً ..

أنتهى الأمرُ وفقدَ طمأنينةَ نفسه
وتمزَّقَ سلامُهُ الداخليُّ وأصبحَ من
النادمين .. صارَ الندمُ هو خبزُهُ اليوميُّ
المُر الذي قدرَ عليه أن يأكلهُ طوالَ
حياته ..

في نفسِ الوقتِ .. كانَ أبناءُ
الشَّهيدِ هابيلَ يكبرونَ في السَّنِّ ..
وكانَ هذا إشارةً إلى أن الدُّنيا ما
زالَتْ تنجبُ الخيرَ وإن مَلأها الشرُّ ..

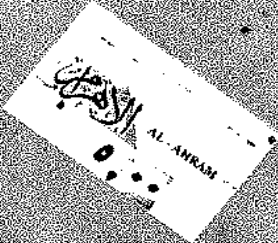
أهلِ النعيمِ .. وزادَ إحساسُهُ
بالمُرارةِ ..
وعرفَ آدمُ بما حدثَ .. وزادَ ندمُ
قابيلَ ..

خيرَ قابيلُ نفسه بسببِ جريمتهِ ،
وأدركَ أن كلَّ مكابيه من جريمتهِ لا
تساوي خسارةَ نفسه .. أدركَ أنه من
أهلِ النارِ .. وأدركَ أن شقيقه من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَمَّا عَلَيْهِمْ فَإِنَّ آيَاتِي قَدْ جَاءَتْهُمْ بِالْحَقِّ إِذْ هُمْ بِنَايَا فَتَقَبَّلُ مِنْ أَسْفَلٍ وَأَمَّا
يَتَقَبَّلُ مِنَ الْأَنْفِ قَالَ لَا أَقْبَلُكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ●
لَنْ نَسْطِقَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا آتَانَا بِسَاطِئِ يَدَيْهِ إِلَيْكَ لِأَقْبَلُكَ إِنَّ
أَعْيُنَ اللَّهِ رَابِعُ الْبَصَرِ ● إِنَّ أَرِيدُ أَنْ نَبْنِي بُيُوتًا بِأَمْعَانِ
فَنَسْجُدُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ● فَطَوَّعَتْ لَهُ
نَجْمًا مِثْلَ أُخْبِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْمُخْسِرِينَ ● فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا
يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سُوءَ أُخْبِيهِ قَالَ يَشُو بِلَيْتِي أَعْمُرْتُ
إِنَّ السُّكُونَ مِثْلُ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سُوءَ أُخْبِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَطِيسَ



To: www.al-mostafa.com